رسالة من الضفة الغربية

ج. هـ. جانسن

خص الصحافي الهندي ج. هـ. جانسن « شؤون فلسطينية » بهذه الرسالة التي بعث بها من الارض المحتلة .

قمت في نهاية نيسان (ابريل) بأول زيارة الى القدس والضفة الغربية منذ حرب تشرين (اكتوبر)، وهي رابع زيارة اقوم بها منذ حرب حزيران (يونيو) ، وربما كانت العاشرة منذ ١٩٦٠ الى الاراضي الواقعة تحت السيطرة الاسرائيلية . وهذه المرة وجدت روحا تختلف الاختلاف كله في الضفة الغربية بل أنها اكثر اختلافا ، من الناحية النفسية ، بين الاسرائيليين ذاتهم .

كان الوجه الاكثر مدعاة للكآبة في الزيارات الى القدس بعد ١٩٦٧ هو ان الاسرائيليين تركوا الانطباع البالغ الغطرسة بأنهم سيبقون هناك الى الابد . وكان الامر الاسوأ هو أن بعض الفلسطينيين أعطوا الانطباع احيانا بأنهم يقبلون بذاك الادعاء كحقيقة واقعة . هذه المرة وجدت ان الفلسطينيين قد رفضوا ذلك الاحتمال ، وبعض الاسرائيليين على الاقل ابتدأوا يشكون في (أبدية) حكمهم للقدس .

كان هذا جزءا من ثقة جديدة بالنفس بين أبناء الضفة الغربية في أعقاب حرب تشرين (اكتوبر). وهي ثقة بالنفس لا تنبثق من الاعمال البطولية للجيوش العربية فحسب ، ولكنها ناشئة ايضا عن خبرتهم المباشرة لفقدان الاسرائيليين لاعصابهم .

ولنبحث اولا في ردة الفعل الفلسطينية ، تبرز الثقة الجديدة بالنفس في فعلي ايمان يتمسك بهما الفلسطينيون تمسكا شديدا . أحدهما هو ان الاسرائيليين سيخرجون من الضفة الغربية بنهاية السنة ، والاخر هو ان القدس ستكون عاصمة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة . ومن الطبيعي ان يعني هذا ان الضفة الغربية لن تعود الى الحكم الهاشمي ، وكان هذا ايضا يؤخذ على انه أمر مفروغ منه . وبدا لي ، انا الاتي من الخارج ، حاملا بعض المعرفة عن مدى اتقان الاسرائيليين لتكتيكات التأجيل و « خلق حقائق جديدة » و «أمور واقعة » ، وكأن هذين الاعتقادين مغاليان في التفاؤل وربما كانا من قبيل التفكير الرغبي ليس الا . واعتقد انه كان ثمة بعض التفكير من هذا النوع في موقف الضفة الغربية ، وهذا أمر مفهوم، ومحتوم بالفعل . لقد كنت في القدس قبيل « عيد الاستقلال » الاسرائيلي ، وبدا كأن الاسرائيليين تعمدوا رفع أكبر عدد ممكن من أعلامهم فوق المباني العامة في القدس العربية . ومجرد رؤية رموز الاحتلال تلك ساعدت المرء على ادراك مدى الحاجة اليائسة التي يشعر بها ابناء الضفة الغربية للتخلص من الحاكم الاسرائيلي . وكان بامكان هذا التوق اليائس الى التحرير ان ينتج التفكير الرغبي . ولكن كانت هناك ، ايضا ، حجج عقلانية لدعم الاعتقادات الفلسطينية . كانت الحجة الاولى ان عمليات صنع السلام قد استجمعت زخما قويا ، بصورة رئيسية لان الدولتين المتفوقتين مصممتان على ازالة فوضى الشرق الاوسط ، بحيث انه من غير الممكن ايقاف هذه العمليات بمجرد ترتيب مصري او سوري . ثانيا ، لا يمكن ان يكون هناك حل سلمي نهائي دون تسوية للمشكلة الاساسية ، مشكلة الضفة الغربية والقدس اللذين كانا وجهين من اوجه القضية الفلسطينية ، وهي بدورها كانت السبب الاصلي للوضع المعقد كله في الشرق الاوسط . لذلك لن يكون سلام دون انسحاب اسرائيلي هناك ، ولن تكون ثمة تسوية دون سلام . ولكن ستكون هناك تسوية ، ولو فرضت فرضا بالضرورة : لذلك سيكون هناك انسحاب . هذا فيما يتعلق بالحجج الايجابية .